(٥١، ٥٢) [الحافظ، الحفيظ]

ورد اسمه سبحانه (**الحافظ**) في القرآن الكريم (مرة واحدة) بصيغة المفرد كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يوسف: ٦٤]، وورد (مرتين) بصيغة الجمع كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٢].

أما اسمه سبحانه (**الحفيظ**) فقد ورد في القرآن الكريم (ثلاث مرات) وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾ ﴾ [هود: ٥٧]، وقوله سبحانه: ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [سبأ: ٢١]، وقوله - عز وجل -: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الشورى: ٦].

المعنى اللغوي (للحافظ والحفيظ):

قال في اللسان: «قال ابن سيده: الحفظ نقيض النسيان، وهو التعاهد وقلة الغفلة.

وحفظ الشيء حفظًا، ورجل حافظ من قوم حفاظ...

وقال الأزهري: «رجلٌ حافظ وقومٌ حُفَّاظٌ، وهم الذين رزقوا حفظ ما سمعوا، وقلّما ينسون شيئًا يعونه»[(١)].

وقال الزجاجي: « (الحفيظ): الحافظ، فعيل بمعنى فاعل»[(٢)].

وقال: «أحفظت الرجل: إذا أغضبته، أحفظه إحفاظًا، والحِفظة: الحقد والضغينة».

---

(١) اللسان ٢/ ٩٢٩.

(٢) اشتقاق الأسماء ص ١٤٦.

وقال الجوهري: «حفظتُ الشيء حفظًا، أي: حرسته، وحفظته أيضًا بمعنى استظهرته، والمحافظة : المراقبة»[1].

معناهما في حق الله تعالى:

قال الخطابي رحمه الله تعالى: «الحفيظ هو الحافظ فعيل بمعنى فاعل كالقدير والعليم يحفظ السموات والأرض وما فيها لتبقى مدة بقائها فلا تزول ولا تندثر كقوله - عز وجل -: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧ ﴾ [الصافات: ٧]، أي حفظناها حفظًا والله أعلم.

وهو الذي يحفظ عبده من المهالك والمعاطب، ويقيه مصارع السوء كقوله سبحانه: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الرعد:١١]، أي: بأمره.

ويحفظ على الخلق أعمالهم، ويحصي عليهم أقوالهم، ويعلم نياتهم وما تكِنُّ صدورهم، ولا تغيب عنه غائبة ولا تخفى عليه خافية.

ويحفظ أولياءه، فيعصمُهم عن مواقعة الذنوب، ويحرسهم عن مُكايَدةِ الشيطان، ليسلموا من شره، وفتنته»[2] أهـ.

ويقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في نونيته:

«وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيل بحفظهم من كل أمر عان»[3].

---

(١) الصحاح ٣/ ١١٧٢.

(٢) شأن الدعاء ص ٦٧، ٦٨.

(٣) النونية لابن القيم ٢/ ٢٢٨.

ويشرح الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - اسمه سبحانه (الحفيظ) فيقول: «والحفيظ يتضمن معنيين:

أحدهما: أنه قد حفظ على عباده ما عملوه من خير، وشر، وطاعة، ومعصية، فإن علمه محيط بجميع أعمالهم ظاهرها، وباطنها وقد كتب ذلك في اللوح المحفوظ، ووكل بالعباد ملائكة كرامًا كاتبين يعلمون ما يفعلون. فهذا المعنى من حفظه يقتضي إحاطة علم الله بأحوال العباد، كلها ظاهرها، وباطنها، وكتابتها في اللوح المحفوظ، وفي الصحف التي في أيدي الملائكة، وعلمه بمقاديرها، وكمالها، ونقصها، ومقادير جزائها في الثواب والعقاب ثم مجازاته عليها بفضله، وعدله.

والمعنى الثاني من معنيي الحفيظ: أنه تعالى الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون.

وحفظه لخلقه نوعان عام وخاص: فالعام حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها ويحفظ بنيتها، وتمشي إلى هدايته، وإلى مصالحها بإرشاده، وهدايته العامة التي قال عنها: ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [طه: ٥٠]، أي: هدى كل مخلوق إلى ما قدر له وقضى له من ضروراته وحاجاته، كالهداية للمأكل، والمشرب، والمنكح، والسعي في أسباب ذلك، وكدفعه عنهم أصناف المكاره، والمضار، وهذا يشترك فيه البر، والفاجر، بل الحيوانات، وغيرها، فهو الذي يحفظ السماوات، والأرض أن تزولا، ويحفظ الخلائق بنعمه، وقد وكل بالآدمي حفظة من الملائكة الكرام يحفظونه من أمر الله، أي: يدفعون عنه كل ما يضره مما هو بصدد أن يضره لولا حفظ الله.

والنوع الثاني: حفظه الخاص لأوليائه سوى ما تقدم، بحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل إيقانهم من الشبه، والفتن، والشهوات فيعافيهم منها ويخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية، ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس فينصرهم عليهم ويدفع عنهم كيدهم، قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج: ٣٨]، وهذا عام في دفع جميع ما يضرهم في دينهم ودنياهم فعلى حسب ما عند العبد من الإيمان تكون مدافعة الله عنه بلطفه، وفي الحديث: (**احفظ الله يحفظك**)[١]، أي: احفظ أوامره بالامتثال ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعديها، يحفظك في نفسك ودينك ومالك وولدك، وفي جميع ما آتاك الله من فضله»[٢]أهـ.

من آثار الإيمان باسميه سبحانه (الحافظ)، و(الحفيظ):

أولاً: مراقبة الله - عز وجل - في الأقوال والأعمال بأن تكون في مرضاته، ذلك لأن الله - عز وجل - لا يغيب عن علمه شيء فهو الحافظ المحصي لأعمال عباده، في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾[الانفطار: ١٠].

ومن ذلك حفظ الأعمال مما يحبطها كالرياء وغيره مما يعلمه الله تعالى ويحصيه على العبد وإن خفي على الناس.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «المراقبة: هي التعبد باسمه (الرقيب)، (الحفيظ)، (العليم)، (السميع)، (البصير) فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها حصلت له المراقبة والله أعلم»[٣].

---

(١) رواه أحمد ١/ ٢٦٣، وصححه أحمد شاكر في المسند ٣/ ٢٦٧١.

(٢) انظر توضيح الكافية الشافية ض ١٢٢، وانظر الحق الواضح المبين ص ٥٩ - ٦١.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٦٩.

ثانيًا: تعظيم الله – عز وجل – وإجلاله وعبادته وحده لأنه هو الخالق لهذا الكون العظيم وهو الحافظ له وللسموات والأرض أن تزولا.

قال تعالى:﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٢]؛ وقال – عز وجل –: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [فاطر: ٤١]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجر: ١٧].

ثالثًا: صدق التوكل على الله وحده لأن المحفوظ من حفظه الله وعصمه، ومن تخلى الله عن حفظه فإنه هالك ضائع، ولن يستطيع أحد أن يحفظه بعد ذلك، فلا جرم وجب التعلق بالله وحده في الحفظ والكفاية وترك التعلق بالمخلوق الضعيف الذي هو في حاجة إلى الحفظ من ربه.

رابعًا: الأخذ بأسباب حفظ الله – عز وجل – للعبد، وأعظمها: توحيده سبحانه، وفعل ما يحبه الله تعالى، واجتناب ما يسخطه، وحفظ الله تعالى في حرماته ودينه وشرعه؛ قال الرسول ﷺ في معرض وصيته لابن عباس رضي الله عنهما: (**يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**... الحديث)[1].

وقبل ذلك قوله سبحانه: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [ق: ٣٢].

(١) رواه أحمد ١/ ٢٩٣، والترمذي (٢٤٤٠)، وصححه الألباني؛ صحيح الترمذي (٢٠٤٣).

خامسًا: محبة الله - عز وجل - وحمده وشكره على حفظه لعباده من الشرور والآفات والمهلكات إذ لو خلي بين العبد وبين هذه المهلكات لما بقي على ظهرها من دابة، ولكنه حفظ الله تعالى فوجبت محبته وحمده وعبادته وحده قال الله - عز وجل -: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الرعد: ١١].

وقال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١ ﴾ [الأنعام: ٦١]، هذا حفظه العام للناس مؤمنهم وكافرهم، أما حفظه الخاص لأوليائه فشيء آخر ونعمة أخرى تقتضي من أهلها المحبة العظيمة والحمد والقيام بحقوق عبوديته سبحانه وطاعته، وبقدر تحقيق العبودية والطاعة لله - عز وجل - يكون الحفظ والرعاية من الله - عز وجل - لعبده.

۞۞۞